المقدمة :

الحمد لله الذي أنشأ الخلق من آدم وحواء ، وبث منهما رجال كثيراً ونساء ، وصلى الله على النبي الأمين محمد خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وبعد فإن التاريخ الإسلامي لم يكن قاصراً على دور الرجال في المجتمع الإسلامي ، فقد كان للمرأة دوراً عظيماً منحها الإسلام حينما لم يجعل الجنس عائقا لهـــا دون العمل أو دون تلقي العلم .

ولذا هدفت هذه الرسالة الكشف عن الدور الحضاري للمرأة في مكة خلال العصـــرين الأيـــوبي والمملوكي من عام (569هـــ-923هـــ/1173م-1517م) ، وقد آثرت الباحثة اختيار هذا الموضـــوع لأهمية المرأة في المجتمع الإسلامي في كل العصور عامة ، وفي مكة المكرمة خاصة . ولعـــدم وجـــود دراسة متكاملة عن المرأة في تلك الفترة ،حيث أغفلت كتب التاريخ الإسلامي دور المـــرأة فـــي الحيـــاة العامة ، وإن كان هناك ذكرٌ لها ، فهو لا يتعدى إشارات هنا وهناك بين ثنايا كتـــب التـــراجم ، كمـــا أن المكتبة العربية الإسلامية تفتقر إلى دراسة شاملة ووافية عن المرأة في هذه الحقبة ، ومن هنـــا أرتـــأت الباحثة تناول هذا الموضوع بالدراسة والتمحيص والتحليل لتكشف عن جانب مهم في تراثنا الإسلامي من جهة ، وبيان الدور الحضاري الذي كانت تضطلع به المرأة المكية من جهة آخرى .

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول موضوع الرسالة فقد كانت هنـــاك رســـالة علميـــة مطبوعـــة لإبراهيم بن حمود المشيقح بعنوان "تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد " ، وقد تناول فيها المؤلف تاريخ مكة وأوضاعها المختلفة من خلال كتاب الدر الكمين ودور المـــرأة العلمي في حياة ابن فهد .

وهناك دراسة أخرى مطبوعة لطرفة بنت عبد العزيز العبيكان تناولت الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة . وشملت هذه الدراسة الأوضاع السياسية في مكة خلال تلك

الفترة ، وأشارت بصورة مختصرة إلى دور المرأة في الحياة العلمية . ثم ذكرت العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية بمكة .

وهناك دراسة أخرى مطبوعة لخالد بن محسن الجابري بعنوان "الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ/1250م -1517م) ، وهي دراسة أعطت صورة واضحة للحركة العلمية في الحجاز عامة وفي مكة المكرمة خاصة ، ودور الأسر العلمية في إثراء الحياة العلمية بمكة ومراكز التعليم ودور العلماء العلمي خلال العصر المملوكي ، وقد أشارت الدراسة إلى بعض نساء مكة العالمات سواء من الأسر العلمية أو من خارجها ، كذلك كانت توجد دراستان علميتان" لصالح معتوق " الأولى عن علم الحديث في مكة خلال العصر المملوكي (648هـ- 923هـ / 1250م-1517م) ، أوضح من خلالها أهمية علم الحديث ودور الأسر العلمية والمجاورين ، والمصنفات التي ظهرت خلال تلك الفترة ، كما أشار إلى أشهر النساء المحدثات وما حدثن به ، أما دراسته الأخرى فقد تناولت ، "جهود المرأة في علم الحديث في القرن الثامن الهجري" وقد استعرض فيه جهود النساء المحدثات في كل من مصر وبلاد الشام والعراق ، واختار من المكيات نماذج معينة . ومن الدراسات الحديثة رسالة ماجستير أعدتها خلود عبد الباقي البدنه بعنوان " الأسرة العلمية في مكة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (648-923هـ /1250-1517م)" ، واقتصرت هذه الدراسة على دور الرجال من الأسر العلمية دون النساء . وهناك دراسة أخرى وهي رسالة ماجستير لبدريه بنت احمد الغامدي عن الأسرة الطبرية في مكة المكرمة في العهد المملوكي (667-923هـ/1268-1517م) ، وأتت هذه الدراسة للحديث عن الأسرة الطبرية بصورة شاملة من حيث جذورهم والوظائف التي تولوها وعلاقاتهم وجهودهم العلمية ، وكان أيضاً فصل في أخر الرسالة عن نساء الأسرة الطبريه .

تلك كانت بعض الدراسات السابقة لموضوع الدراسة وربما هناك كثير من الدراسات لم أتمكن من الاطلاع عليها . أما بالنسبة للصعوبات فقد واجهتني صعوبات أثنا جمع المادة العلمية حيث كانت

المعلومات متناثرة بين طيات كتب التراجم ، فاستطعت بفضل من الله جمع المعلومات المتناثرة من خلال ما كتب من تراجم النساء المكيات وغير المكيات ، وتحليل تلك المعلومات والقياس عليها بما هو متعارف عليه من ذلك العصر ، وبالصبر تمكنت من جمع شتات المادة العلمية حتى ظهرت بحمد الله هذه الرسالة التي لا أدعي فيها الكمال فكل عمل يعمله الإنسان يبدو ناقصاً ما لم يتوج بآراء الآخرين وخبراتهم السابقة .

وقد أشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . تناولت المقدمة التعريف بالموضوع وأهميته والدراسات السابقة حوله ، وأهم الصعوبات التي واجهت الباحثة وأهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة .

أما التمهيد فقد كان عن مكانة المرأة في الإسلام ويتضح من خلاله تلك المكانة العظيمة للمرأة وما تمتعت به من وضع اجتماعي رفيع عما كانت عليه قبل الإسلام .

ويتناول الفصل الأول الأوضاع الاجتماعية للمرأة ، والطبقات الإجتماعية للمرأة ودورها في رعاية الأسرة وتنشئة الأبناء ، وحياتها الاجتماعية من حيث الزواج ، والولادة ، والطلاق ، والوفاة ، واستخدامها لملابسها وأدوات زينتها ، ومشاركتها في حضور المناسبات الخاصة والعامة .

أما الفصل الثاني فيتحدث عن الدور العلمي والثقافي للمرأة في مكة من حيث الطرق والأساليب التي تعلمت بها ، والعلوم التي شاركت فيها ، ورحلاتها العلمية والإجازات العلمية التي حصلت عليها والتي منحتها أيضاً ، ولم يقتصر دورها على ذلك بل كان لها دوراً في التدريس حيث تعلم على يديها الكثير من طلبة العلم نساءً ورجالاً ، كما كان لها جهد مختصر في التصنيف والتأليف .

أما الفصل الثالث فقد أظهرت الدراسة الدور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة في مكة ، ففي الجانب الاجتماعي أسهمت المرأة بدور إيجابي في بناء المدارس والأربطة والأسبلة والآبار والأوقاف وبذل الصدقات وغير ذلك من الأعمال الخيرية الأخرى ، أما الدور الاقتصادي فقد أوضح مزاولة المرأة

للتجارة بالإضافة إلى قيامها ببعض المهن والحرف الأخرى التي لا غنى عنها في المجتمع كالقابلة ، والماشطة ، والحائكة ، و ختمت البحث بعدة ملاحق احتوت على شكل شاهد قبر لسعادة مستولدة الشريف محمد بن بركات، وصورة نص إجازتين علميتين ، وجداول لنساء الاسر العلمية بمكة ، و جداول بمنشآت النساء الخيرية بمكة، وجاءت الخاتمة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

مصادر البحث :

اقتضت دراسة " دور المرأة الحضاري في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي " الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع التي تنوعت مواضيعها من بينها كتب التاريخ العام والتاريخ المكي ، وكتب التراجم ، وكتب الرحلات والمعاجم والقواميس . ويأتي في مقدمة هذه المصادر التي أفادت البحث المصادر المكية ، ومن أهمها مخطوطة أنباء البرية بالأبناء الطبرية لعبد القادر بن محمد الطبري (ت 1033هـ /1624م) وتوجد هذه المخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم 16 تراجم / دهلوي .

وقد استفدت منها في تراجم بعض النساء الطبريات في الفصل الأول من الرسالة وكذلك في الفصل الثاني . ويعتبر من أهم مصادر التاريخ المكي خلال العصر المملوكي مؤلفات الشيخ تقي الدين الفاسي (832هـ /1428م) ، وعلى رأسها كتاب " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " ويقع هذا المؤلف في ستة أجزاء ، وقد نهج فيه مؤلفه الترتيب الهجائي للتراجم مبتدئا بأسماء محمد وأحمد، ويعد هذا الكتاب موسوعة لتاريخ مكة وعلمائها ومجاوريها ، ولقد استفدت من هذا الكتاب في معرفة طبقات النساء ودورهن في المجتمع المكي ' وأثرهن العلمي والاجتماعي حتى وفاة المؤلف سنة (832هـ /1428م) ، وهناك كتاب آخر للفاسي لا يقل أهمية عن كتابه السابق ، وهو كتاب "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " ويقع في جزأين شملت الجانب التاريخي والحضاري لمكة حتى وفاته سنة (832هـ

/1428م) ، وذكر خلاله المدارس والأربطة والأسبلة والآبار الموجودة بها وجهود السلاطين والأمراء في تشييد هذه المنشآت ، كما ذكر الكوارث الطبيعية التي حدثت بمكة والأحداث التي تعرضت لها من الأمطار والسيول والأوبئة في فترات مختلفة ، وقد أفادني هذا الكتاب في الفصل الثالث من الرسالة لاسيما جانب المدارس والأربطة والمنشآت الخيرية الأخرى واستكمالا لبقية كتب التاريخ المكي فهناك من أكمل مسيرة تقي الدين الفاسي وهو تلميذه النجم عمر بن محمد بن فهد (885هـ– 1480م) ، محدث ومؤرخ مكة المشهور الذي كان له العديد من المؤلفات في التاريخ المكي والذي استكمل فيه الأحداث التاريخية بعد وفاة الفاسي وحتى وفاته عام (885هـ–1480م) ، ومن أهم مؤلفاته كتاب " الدر الكمين في تاريخ البلد الأمين في الذيل على العقد الثمين " والذي طُبع في ثلاثة أجزاء ويعتبر من أهم كتب التراجم المكية خلال تلك الفترة ، وقد ترجم فيه للعديد من الشخصيات المكية على اختلاف طبقاتها مرتبة هجائياً ومبتدئا بالمحمدين ثم الأحمدين كما ضمنه تراجم للنساء من نهاية الجزء الثاني والجزء الثالث ، وقد أعطت تلك التراجم صورة واضحة للجانب الحضاري بمكة خلال ذلك العصر .

وقد استقيت من هذا الكتاب معلومات هامه في معظم فصول الرسالة ففي الفصل الأول في طبقات النساء ودورهن في الحياة الاجتماعية بالمجتمع المكي ، أما في الفصل الثاني فقد حصلت من خلال تراجم النساء على صورة واضحة لازدهار الحياة العلمية بمكة وذلك بالاطلاع على طرق وأساليب تعليم المرأة وأهم العلوم التي برزت فيها وهو علم الحديث الذي وصل إلى درجة عالية من الاهتمام بالدراسة والتدريس لدى المكيات اللاتي تسمى الكثير منهن بالشيخة المحدثة ...

ويوجد كتاب آخر له في تاريخ مكة وهو " إتحاف الورى بأخبار أم القرىً يقع في خمسة أجزاء ، واتخذ أسلوب الحوليات مبتدئاً بالسنة الأولى من الهجرة النبوية وحتى سنة وفاة المؤلف (885هـ – 1480م) ، ويعتبر مصدراً أساسيا لتاريخ مكة، لما اشتمل عليه من أحداث تاريخية غطت الجوانب

السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية خاصة في المرحلة التي عاصرها المؤلف،وقد استفدت منه في مختلف فصول الرسالة .

وهناك كتاب ثالث للنجم عمر بن فهد هو "معجم الشيوخ " وقد جمع فيه المؤلف تـــراجم مطولـــة لشيوخه وشيخاته الذين إلتقاهم وأخذ عنهم طلبة للعلم في مكة وخارجها0وأفادني هذا الكتاب في تـــراجم النساء العالمات ودورهن العلمي في الفصل الثاني من الرسالة .

ومن ضمن كتب التاريخ المكي يأتي كتاب عز الدين عبد العزيز بـــن فهـــد(922هـ/ 1516م) ، "بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى "، الذي جعله تذييلا لمؤلف والده اتحـــاف الـــورى ، ذكر فيه الأحداث على نظام الحوليات بترتيب الأيام والشهور مبتدئاً بشهر رمضان عام (885هـ–1480م) ، وأنهاه في شهر ربيع الآخرعام (922هـ–1516م) قبل وفاته بأيام ، ولهذا الكتاب أهمية كبرى فقد كـــان المؤلف معاصراً للأحداث التي كتب عنها أو قريباً منها وأعطى تفاصيل دقيقة عن أحوال مكة السياســـية والاجتماعية والدينية والعلمية ، كما ذكر الوفيات بصورة مفصلة ، وانفرد عن غيره فيمـــا ســـجله مـــن معلومات في التاريخ المكي ، وقـــد استفدت من هذا الكتاب كثيراً عند الحديث عن الزواج فقـــد أعطانـــا صورة دقيقة عن تفاصيل حفلات الزواج والختان والولادة كما أفاد الباحثة كثيراً في ذكر حـــالات الوفاة للنساء في الفصل الأول . وللعز ابن فهد كتاب آخر بعنوان "غاية المرام بأخيار سلطنة البلد الحرام "وهو كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء جمع فيه المؤلف تاريخ وتراجم من تولوا إمرة مكة منذ عصـــر الرســـول صلى الله علية وسلم حتى زمن المؤلف وكانت تلك التراجم مرتبة حسب سنين ولايتهم لمكة ، وقد أفادني هذا الكتاب في تراجم أمراء مكة الأشراف وهي تراجم مطولة كما يعتبر سجلاً تاريخيـــاً سياســـياً لمكـــة المكرمة خلال العصر المملوكي .

ومن ضمن سلسة تاريخ مكة لأسرة بني فهد كتاب "ذيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحـــاف الورى " لجار الله بن عبد العزيز بن فهد (ت954هـــ/ 1547م) وهو كتاب يؤرخ لتاريخ مكة بعد العصر

المملوكي ومطلع العصر العثماني ، ويأتي تذييلا على كتاب والده بلوغ القرى ويعطي هذا الكتاب صورة دقيقة للتاريخ المكي في النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية واستفادت الباحثة منه في بعض تراجم النساء .

ومن أهم مصادر وكتب التراجم كتاب " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902 هـ/ 1496م) ويقع هذا الكتاب في أثنى عشر جزءاً ، ورتبه على حروف المعجم مبتدئاً بالرجال ثم بالأسماء ثم الكنى ثم بالأنساب والألقاب وجعل الجزء الأخير منه مخصص لتراجم النساء ، وقد اهتم كثيراً بتراجم العدد من رجال ونساء مكة ، ولقد استفدت من هذا الكتاب في كافة فصول الرسالة .

وهناك كتاب آخر هو كتاب " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ، لعبد الحي بن عماد الحنبلي (ت 1089هـ/ 1678م) ويقع في ثمانية أجزاء وقد رتبه المؤلف على السنين من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى سنة ألف هجرية . وذكر ما وقع فيه من حوادث ، وتضمن تراجم الملوك والعلماء والأعيان والشخصيات البارزة في مختلف المجالات وقد أفادني هذا الكتاب في ذكر بعض تراجم النساء خلال فترة الدراسة .

أما بالنسبة لكتب الرحلات ، فقد استفادت الباحثة من كتاب " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" ، " رحلة أبن جبير" ، لأبي الحسن بن محمد بن أحمد بن جبير (614هـ/ 1217م) ، الذي وصف المجتمع المكي وأحواله الاجتماعية ومناسباته الدينية خلال العصر الأيوبي . وقد أفاد الباحثة في معرفة مشاركة المرأة في المناسبات العامة بمكة .

وهناك كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، " رحلة ابن بطوطة "، لشمس الدين محمد بن عبدالله الطنجي المعروف بابن بطوطة (779هـ /1378م) وقد طبع هذا الكتاب

عدة طبعات ، وقد استفادت الباحثة منه في التعرف على الأوضاع الاجتماعية في مكـــة خـــلال زيارتـــه ووصفه لأهلها والمجاورين وعاداتهم وتقاليدهم في المناسبات الدينية خلال العصر المملوكي .

ولا يفوت الباحثة الإشارة إلى كتاب مهم في معرفة الأماكن وهو كتاب " معجم البلدان" ليـــاقوت الحموي (ت 626هـــ-1228م) . هذا وهناك العديد من المصادر والمراجع التي رجعت إليهـــا الباحثـــة واستفادت منها في كتابة رسالتها ، ويمكن الرجوع لها في قائمة المصادر والمراجع في خاتمة الرسالة .